**ألطاف الأقدار!**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

يقول رحمه الله: نزلتْ فيّ شدة، وأكثرتُ من الدعاء، أطلب الفرج والراحة، وتأخرت الإجابة؛ فانزعجت النفسُ، وقلقت! فصحتُ بها: ويْلكِ! أمملوكةٌ أنت أم حُرّة؟! أمدبِّرةٌ أنت أم مُدبَّرة؟! أما علمتِ أن الدنيا دار ابتلاءٍ؛ فإذا طلبت أغراضكِ، ولم تصبري على ما ينافي مرادكِ؛ فأين الابتلاءُ؟! وهل الابتلاء إلا عكس مقاصد النفس! فافهمي معنى التكليف، فلما تدبرتْ ذلك؛ سكنتْ بعضَ السكون!

ثم قلتُ لها: أنتِ نفسٌ مملوكة، والمملوكُ العاقلُ يطالب نفسَه بأداء حق المالك؛ فسكنتْ أكثرَ من ذلك السكون! فقلت لها: يا نفسُ! لقد استبطأتِ الإجابة، وأنتِ سددتِ طرُقَها بالمعاصي، فلو فتحتِ الطريق= أسرعتْ الإجابة!

بهذه الخواطر الربانية يتحدثُ أبي الفرج ابنِ الجوزي في كتابه الفذ **"صيد الخاطر"** يتحدثُ رحمه الله عن سرٍ مِن أسرار الطمأنينة التي يجدها المؤمنونَ مع أقدار الله، وألطافه العظيمة في مكنونها.

إن أحدَنا قد يقع له شيءٌ من الأقدار المؤلمة، التي تكرهها نفسُه، فربما جزِع، أو أصابه الحُزن، وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية على آماله وحياته، فإذا بذلك المقدور يصبح خيراً على الإنسان من حيث لا يدر!.

**وبالمقابل!** كم مِن إنسانٍ سعى في شيءٍ ظاهرُه خيرٌ، واستمات في سبيل الحصول عليه، وبذل الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه؛ فإذا بالأمر يأتي على عكس ما يريد!

القرآن الكريم **يا عباد الله** يؤسس في النفسِ البشرية هذه الحقيقةَ من خلال ترسيخها عند مقام التكليف ببعض الأحكام الشرعية، أو تقرير بعض الأمور القدَرية؛ ليزداد يقينُ العبد ـ الذي لن يذوق حلاوةَ الرضا بالله ربًا حتى يعلم ـ أن خِيرة الله خيرٌ من خيرته لنفسه.

**تأملوا ـ أيها الإخوة ـ** ماذا قال اللهُ حين فرَضَ الجهاد، الذي فيه غربةٌ عن الأوطان، وذهابٌ للأنفس، وإزهاق للأرواح: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ولما قرّر القرآنُ شيئاً من أحكام مفارقة الزوج لزوجته، قال الله مطمئناً الزوجين على تقبّل هذا القدَر الذي قد تكرهه بعضُ النفوس: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

إن مِن أهم أسباب دفع القلقِ الذي عصف بحياةِ كثيرٍ من الناس في هذا الزمن= هو تأمل هذه الحقيقة: حقيقة أن أقدار الله عزوجل فيها اللطف وفيها الخيرة لك، ولكنك لا تعلم والله يعلم!

**قلِّب نظرك في قَصصَ القرآن تجد عجبا**

تأمل قصة الغلام الذي قتله الخضر بأمر الله تعالى فإنه علّل قتْلَه بقوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا \* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ **توقَّفْ أيها المؤمن!** كم مِن إنسانٍ لم يقدِّر اللهُ تعالى أن يرزقه بالولد؛ فضاق لذلك صدرُه؟! -وهذا شيء طبْعي- لكن الذي لا ينبغي أن يستمر: هو الحُزنُ الدائم، والشعورُ بالحرمان الذي يقضي على بقية مشاريعه في الحياة!

وليت من حُرِم نعمةَ الولد يتأمل هذه الآية، ليطمئن قلبُه وينشرح صدرُه، وليته ينظر إلى هذا القَدَر بمنظار النعمة والرحمة، وأن الله تعالى قد يكون صرَفَ هذه النعمةَ رحمةً به! وما يدريه؟ لعله إذا رُزق بولدٍ أن يكون هذا الولد سبباً في شقاءك أو تعاستك أو تنغيص حياتك!

........

يُحكى أن رجلاً قَدِم إلى المطار وكان مُجهَداً بعض الشيء، فأخذته نومةٌ ترتّب عليها أن أقلعت الطائرةُ، وفيها ركابٌ كثيرون، فلما أفاق، وإذا بالطائرة قد أقلعت قبل قليل، وفاتته الرحلة! فضاق صدرُه، وندم ندماً شديداً، ولم تمض ساعات على هذه الحال التي هو عليها حتى أُعلن عن سقوط تلك الطائرة، واحتراق مَن فيها بالكامل!

السؤال: ألم يكن فواتُ الرحلة خيراً لهذا الرجل؟! هنا تدرك سِر ألطاف القدر بك أخي المبارك!

والمؤمن عليه أن يتوكل على الله، ويبذل ما يستطيع من الأسباب المشروعة، فإذا وقع شيءٌ على خلاف ما يحب؛ فليتذكر هذه القاعدة القرآنية العظيمة: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وليتذكر أن من لطف الله بعباده: "أنه يُقدِّر عليهم أنواعَ المصائب، وضروبَ المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق؛ رحمةً بهم ولطفاً، وسَوقاً إلى كمالهم، وكمال نعيمهم".

**ومِن ألطاف الله العظيمة:** أنه لم يجعل حياةَ الناس وسعادتهم مرتبطةً ارتباطاً تاماً إلا به سبحانه وتعالى، وبقية الأشياء يمكن تعويضها، فمن فقد الله فماذا وجد؟! ومن وجد الله فما ذا فقد؟!

**حـكـمُ المنـيَّـةِ فـــي الـبـريَّـةِ جـــار**

**مـــا هـــذه الـدُّنـيــا بــــدار قــــرارِ**

**بيـنـا يُــرى الإنـسـانُ فيـهـا مُخـبـراً**

**حـتَّـى يُــرى خـبـراً مــن الأَخـبــارِ**

**طُبِعَـتْ علـى كَــدَرٍ وأنــت تريـدهـا**

**صـفــواً مـــن الأقـــذاءِ والأكـــدارِ**

**بارك الله لي ولكم في القرآن..**

**الخطبة الثانية**

**أما بعد:** ففي هذه الأيام يَكثر خروجُ الناس إلى البريّة، والنـزهة في الخلاء، ويستحسن للمرء أن يراعي في خروجه أموراً، منها:

-  **التفقه في دينه:** بالقراءة أو بالسؤال عن الأحوال التي تَعرِض للإنسان في مثل هذه الأحوال؛ كمعرفة أحكام استقبال القبلة، ومتى يحل القصر مِن عَدَمه، ومتى يجوز له التيمم، ومتى وكيف يمسح على الخفين، والأدعية والأذكار، وغير ذلك من الأحكام الفقهية التي تتكرر غالباً.

-  **ومنها النظافة:** فعلى مَن جلس في مكانٍ أن يعتني بنظافته ما استطاع، وعدم أذية المسلمين في طرقاتهم أو في منافعهم؛ فقد ثبت في صحيح الإمام مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال: «**اتقوا اللعانَين»** قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: **«الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم»**، وعلى رَبّ الأسرة أن يُربي مَن تحته من الأبناء على هذه الآداب الإسلامية، وأن تكون ثقافةً لدى أفرادِ أسرته.

-  **ومنها حفظ حقوق الغير:** فإنّ تعمُّد تخريب ما يكون في الممتلكات المستأجرة من آخرين= محرّم لا يجوز، فالذي لا ترضاه لنفسك كيف ترضاه للآخرين؟!

-**ومنها الذوق الرفيع في التعامل وقيادة** المركبات، وعدم إلقاء النفوس في التهلكة والمخاطر كما نشاهدها في بعض المقاطع والله المستعان.

**أخيرًا أخي الكريم!** أترك أثَرًا طيبًا في محيطك: فعلى المرء أن يجتهد أن تشهد له الأرضون -التي يمكث بها أو يخرج إليها- بالخير: من صلاة، وذِكر، ونفع، وليحذر أن تأتي هذه البقاع يوم القيامة شاهدة عليه بأنه عصى الله عليها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا \* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا \* يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ \* فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

**اللهم ارزقنا الرضا بك وعنك، وارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة.**